

مقابلة مع أدغار موران حول الأزمة الصحية العالمية

2020-05-09 د. زهير الخويلدي

ترجمة: د. زهير الخويلدي

"هذه الأزمة تدفعنا إلى التساؤل عن أسلوب حياتنا، وعن احتياجاتنا الحقيقية المتوارية خلف أشكال اغتراب الحياة اليومية"

في مقابلة مع لوموند، يعتقد عالم الاجتماع والفيلسوف أن السباق من أجل الربحية وكذلك أوجه القصور في طريقة تفكيرنا هي المسؤولة عن عدد لا يحصى من الكوارث البشرية التي تسببها جائحة كوفيد 19. لقد اختارت الصحيفة تحليله لهذا الانفجار العالمي، وأزمته متعددة الأبعاد، وما سيكون عليه العالم بعد ذلك.

والحق أن إدغار موران هو عالم اجتماع وفيلسوف، في مونبلييه (هيرولت)، في يناير 2019. ولد في عام 1921، مقاتل مقاومة سابق، عالم اجتماع وفيلسوف، مفكر متعدد التخصصات وغير منضبط، الطبيب الفخري من أربعة وثلاثين جامعة حول العالم، إدغار موران، منذ 17 مارس، محصور في شقته في مونبلييه مع زوجته، عالم الاجتماع صباح أبو السلام. من شارع جان جاك روسو، حيث يقيم مؤلف الدرب 2011 والأرض - الوطن و1993 والذي نشر مؤخراً مذكراته في دار فيارد 2019، وهو عمل من أكثر من 700 صفحة يتذكر فيه المثقف بعمق القصص والاجتماعات و"التجاذبات" الأقوى من وجوده، ويعيد تعريف العقد الاجتماعي الجديد، وينخرط في بعض الاعترافات ويحلل الأزمة العالمية التي "تحفز بشكل كبير".

هل كان الوباء بسبب هذا الشكل من الفيروسات التاجية متوقعا؟

لقد انهارت كل التوقعات المستقبلية للقرن العشرين التي تنبأت بالمستقبل من خلال نقل التيارات التي تعبر الحاضر إلى المستقبل. ومع ذلك، ما زلنا نتوقع 2025 و 2050 عندما يتعذر علينا فهم

2020. ولم تكد تجربة الانفجارات غير المتوقعة في التاريخ تخترق الضمير. ومع ذلك، كان من الممكن توقع وصول ما لا يمكن التنبؤ به، ولكن ليس طبيعته. ومن هنا قولنا الدائم: "توقع ما هو غير متوقع." بالإضافة إلى ذلك، كنت من هذه الأقلية التي تنبأت بسلسلة من الكوارث التي تسببها عملية التنقيب غير المنضبط للعولمة التقنية الاقتصادية، بما في ذلك تلك الناتجة عن تدهور المحيط الحيوي وتدهور المجتمعات.

ولكن لم يكن لدي خطط للكوارث الفيروسية. ومع ذلك، كان هناك نبي لهذه الكارثة: بيل جيتس، في مؤتمر عقد في أبريل 2012، معلنا أن الخطر المباشر على البشرية ليس الخطر النووي، بل الصحة. وقد شاهد في وباء الإيبولا، الذي كان من الممكن السيطرة عليه بسرعة إلى حد ما عن طريق الصدفة، الإعلان عن الخطر العالمي لفيروس محتمل مع قدرة عالية على التلوث، وأوضح الإجراءات الوقائية اللازمة، بما في ذلك معدات المستشفيات كاف. ولكن على الرغم من هذا التحذير العام، لم يتم فعل أي شيء في الولايات المتحدة أو في أي مكان آخر. لأن الراحة الفكرية والعادات تكره الرسائل التي تزعجهم.

كيف نفسر التحضير الفرنسي؟

في العديد من البلدان، بما في ذلك فرنسا، تركت الاستراتيجية الاقتصادية في الوقت المناسب، التي حلت محل التخزين، نظامنا الصحي محروماً من الأقنعة وأدوات الاختبار وأجهزة التنفس؛ ساهم هذا، إلى جانب العقيدة الليبرالية في تسويق المستشفى وتقليل موارده، في المسار الكارثي للوباء.

سيكون الوباء اللاحق مغامرة غير مؤكدة حيث ستتطور قوى الأسوأ وقوى الأفضل، ولا تزال الأخيرة ضعيفة ومشتتة. دعنا نعلم أخيراً أن الأسوأ غير مؤكد، وأن ما هو غير محتمل يمكن أن يحدث، وأنه في القتال العملاق الذي لا يمكن اختراقه بين الأعداء الذين لا ينفصلون وهما إيروس وثناتوس، من الصحي والحيوي اتخاذ جانب إيروس."

ما هي ملامح هذا الانفجار العالمي؟

كأزمة كوكبية، يسלט الضوء على مجتمع المصير لجميع البشر الذين لا ينفصلون عن المصير البيولوجي الإيكولوجي لكوكب الأرض ؛ في الوقت نفسه تكثف أزمة الإنسانية التي لا تنجح في تشكيل نفسها في الإنسانية. كأزمة اقتصادية، فإنها تهز كل العقائد التي تحكم الاقتصاد وتهدد بتفاهم الفوضى والنقص في مستقبلنا. وكأزمة وطنية، يكشف النقاب عن أوجه القصور في سياسة تفضل رأس المال على العمل، وتضحي بالوقاية والاحتياطات لزيادة الربحية والقدرة التنافسية.

كأزمة اجتماعية، يسלט الضوء على عدم المساواة بين أولئك الذين يعيشون في مساكن صغيرة يسكنها الأطفال والآباء، وأولئك الذين تمكنوا من الفرار إلى وطنهم الثاني الأخضر. كأزمة حضارية، يدفعنا إلى إدراك أوجه القصور في التضامن والتسمم الاستهلاكي الذي طوره حضارتنا، ويطلب منا أن نفكر في سياسة الحضارة (سياسة حضارية، مع سامي نير، أريا 1997). كأزمة فكرية، يجب أن تكشف لنا عن الثقب الأسود الهائل في ذكائنا، مما يجعل التعقيدات الواضحة للواقع غير مرئية لنا.

كأزمة وجودية، تدفعنا إلى التساؤل عن أسلوب حياتنا، واحتياجاتنا الحقيقية، وتطلعاتنا الحقيقية المقنعة في اغتراب الحياة اليومية، لإحداث فرق بين الترفيه الباسكالي الذي يبعدها عن حقائقنا والسعادة التي نجدها في القراءة أو الاستماع أو رؤية روائع تجعلنا نواجه مصيرنا البشري. وقبل كل شيء، يجب أن تفتح عقولنا لفترة طويلة تقتصر على الأساسي والثانوي والتافه، إلى الأساسي: الحب والصدقة لتحقيق رغبتنا الفردية، والمجتمع وتضامن "أنا" في "نحن"، مصير الإنسانية الذي كل واحد منا هو جسيم. باختصار، يجب أن يشجع الحبس الجسدي تفكيك العقول.

ما رأيك سيطلق عليه "العالم القادم"؟

بادئ ذي بدء، ماذا سنحتفظ، نحن المواطنين، بماذا ستبقي السلطات العامة من تجربة الحبس؟ جزء فقط؟ هل سيتم نسيان كل شيء، أو تشكيله بالكور أم فولكلور؟ ما يبدو محتملاً جداً هو أن انتشار الرقمي، الذي يتم تضخيمه بسبب الحبس (العمل عن بعد، والمؤتمرات عن بعد، وسكايب، والاستخدام المكثف للإنترنت)، سيستمر بالجوانب السلبية والإيجابية التي لا تتعلق به هذه المقابلة للفضح.

دعنا نصل إلى الأساسيات. هل سيكون الخروج من الاحتواء بداية الخروج من الأزمة الضخمة أم تفاقمها؟ طفرة أم اكتئاب؟ أزمة اقتصادية ضخمة؟ أزمة الغذاء العالمية؟ استمرار العولمة أم الانسحاب التلقائي؟ ماذا سيكون مستقبل العولمة؟ هل ستستعيد النيوليبرالية المهزومة السيطرة؟ هل ستعارض الدول العملاقة أكثر مما كانت عليه في الماضي؟ الصراعات المسلحة، التي قللت من حدة الأزمة بسبب الأزمة، فهل ستتفاقم؟ هل سيكون هناك زخم دولي موفر للتعاون؟

هل سيكون هناك أي تقدم سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، كما حدث بعد فترة وجيزة من الحرب العالمية الثانية؟ هل تطيل الصحة التضامنية خلال الحبس وتطول؟ هل سيتم تضخيم ممارسات التضامن التي لا حصر لها والمشتتة قبل انتشار الوباء؟ هل سيستأنف غير التقليدي الدورة الموقوتة والتمسارعة والأناية والمستهلكة؟ أم ستكون هناك طفرة جديدة في الحياة الودية والمحبة نحو حضارة حيث يتكشف شعر الحياة، حيث تزدهر "أنا" في "نحن"؟

من غير الواضح ما إذا كان السلوك والأفكار المبتكرة سينطلقان، أو حتى بعد ثورة السياسة والاقتصاد، أم أنه سيتم استعادة النظام المهتز. يمكننا أن نخشى بشدة من الانحدار العام الذي كان يحدث بالفعل خلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (أزمة الديمقراطية، الفساد المنتصر والديماغوجية، الأنظمة الاستبدادية الجديدة، القومية، كراهية الأجانب، الدوافع العنصرية).

كل هذه الانحدارات (والركود في أحسن الأحوال) مرجحة طالما أن المسار السياسي والإيكولوجي والاقتصادي والاجتماعي الجديد الذي تسترشد به إنسانية متجددة لا يظهر. وهذا من شأنه أن يضاعف الإصلاحات الحقيقية، التي ليست تخفيضات في الميزانية، ولكنها إصلاحات للحضارة والمجتمع مرتبطة بإصلاحات الحياة. من شأنه أن يربط (كما أشرت في الطريق) المصطلحات المتناقضة: "العولمة" (لكل ما هو تعاون) و"نزع الطابع العسكري" (لتحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وإنقاذ الأراضي من التصحر)؛ "النمو" (لاقتصاد الاحتياجات الأساسية، والاستدامة، للزراعة أو الزراعة العضوية) و"الانخفاض" (لاقتصاد التافه، الوهم، القابل للتصرف)؛ "التنمية" (لكل ما ينتج الرفاه والصحة والحرية) و"التغليف" (في تضامن المجتمع)...

.....

* مقابلة أجراها نيكولاس ترونج لصحيفة العالم بتاريخ 19 أبريل 2020 الساعة 5:47 صباحاً،
المصدر: لوموند الأحد 19 - الاثنين 20 أبريل الصفحات 28-29.